الفصل الأول

الموت هاذم اللذات

الموت هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

وقت الموت من الغيب الذي استأثر الله به:

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: ٥٩)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ٣٤).

حضور الشيطان عند الموت:

✺ **قال القرطبي:** «سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي يقول: حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احْتُضِرَ، وقيل له: قل: لا إله إلا الله، فكان يقول: لا لا، فلما أفاق ذكرنا له ذلك. فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما مُتْ يهوديًا فإنه خير الأديان!

والآخر يقول: «مُتْ نصرانيًا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا.....».

✺ ولكن هذا ليس لازمًا لكل أحد كما يقول ابن تيمية، بل من الناس من تُعْرَضُ عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، فقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أُمِرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا.

✺ وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته، لأنه وقت الحاجة، واستدل بالحديث الذي في الصحيح «**الأعمال بخواتيمها**». وقال ﷺ «... **وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى يكون ما بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنه ليعمل بعمل أهل النار، حتى**

يكون ما بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(١)].

ولهذا روى: «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدًا».

ملك الموت:

من اعتقاد أهل السنة والجماعة إيمانهم بمَلَكِ الموت الذي هو متولي قبض الأرواح.

ولم يرد التصريح باسمه في الأحاديث الصحيحة، وإنما وردت تسميته بعزرائيل في بعض الإسرائيليات.

قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور، وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان، وعظم الخلق، وغيرها من الصفات التي جعلته قادرًا على قبض أرواح كثيرة في أماكن مختلفة بعيدة الأطراف في لحظة واحدة».

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب».

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «طويت له الأرض، فجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء».

حقيقة الموت:

فبما أن الحياة هي اتصال الروح بالجسد، إذن فالموت هو انفصال الروح عن الجسد ونهاية الحياة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الجمعة: ٨).

و قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (العلق: ٨).

و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦).

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٩).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

وعندما تجيء لحظة الفناء، لحظة الانقطاع عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، وينظر الإنسان إلى أولاده وإلى بيته وزوجته وماله في هذه اللحظة، يقول الله عز وجل: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (سبأ: ٥٤).

ويريد في هذه اللحظة أن يتكلم، أو أن يوصى، فلا يستطيع، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (يس: ٥٠).

فيا أيها المسلمون استيقظوا قبل أن تنتبهوا على سؤال منكر ونكير، وقد قيل: «الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا، وإذا انتبهوا ندموا، ولا ينفع الندم بعد العدم».

يقول ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**»(١).

✺ **وقالت السيدة صفية** رضي الله عنها: إن امرأة اشتكت للسيدة عائشة رضي الله عنها من قسوة قلبها، فقالت لها السيدة عائشة: «اذكري الموت»، وبالفعل رق قلبها.

✺ وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجتمع بالناس كل يوم، ويتحدثون عن الموت والقبر والصراط والحساب، ويبكون حتى يعتقد الناس أن من بين أيديهم جنازة.

✺ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كل يوم يقول الناس إن فلانًا قد مات، وغدًا سوف يقول الناس إن عمر قد مات.

فهذا النداء لي ولك.....

✺ **وقال أبو ذر** رضي الله عنه: تولدون للموت، وتعمرون للخراب، وتبقون على ما يَفْنَى وتذرون ما يبقى.

✺ **وقال شداد بن أوس**: الموت أفظع هولة في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من النشر بالمناشير والقرض بالمقاريض وغلي القدور، ولو أن الميت نُشِرَ وأخبر أهل الدنيا ما انتفعوا بعيش ولا لَذُّوا بنوم.

فلا تكن في غفلة لأن الدهر يمر سريعًا، وهذه من علامات يوم القيامة، كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق...**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وغيره عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٧٢).

✺ ويقول الشافعي:

مــضى الــدهر والــذنب حاصــلُ وجاء ملـك المـوت والقلـب غافـلُ

نعيمـك في الـدنيا غـرورٌ وحـسرة وعيــشُك فيهــا محــال وباطــلُ

✺ وقال:

وقال: من واجِب الناس أن يتوبوا ولكــن تــرك المعــاصي أوجــب

✺ وقال:

وقــال: الــدهر في صرفــه عجيــبُ ولكـن غفلـة النـاس عنـه أعجـب

✺ ✺ ✺

obeikandl.com

الفصل الثاني

القبـــر

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: ٢١).

عَلَّمنا النبي ﷺ أن نستعيذ من عذاب القبر، ففي حديثه ﷺ والذي رواه عنه ابن عباس أنه ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(١).

وفي «صحيح أبي حاتم البُسْتي» عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط وهو يقول: «**تَعَوَّذُوَا بالله من عذاب القبر**»، فقلت: يا رسول الله! للقبر عذاب؟ فقال: «**إنهم ليعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم**».

النَّفسُ تَبكي على الدُّنيا وقد علمتْ ... أن السلامةَ فيها تَركُ ما فيها
لا دارَ للمرءِ بعدَ الموتِ يسكنُها ... إلا التي كان قبلَ الموتِ بانيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مَسْكنُه ... وإن بناهَا بشرٍّ خاب بانيها

صفة القبر:

عن جابر أن النبي ﷺ: «**أُلحِدَ لَهُ لحدٌ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبِنُ نَصبًا...**» وَذَكَرَ الحَدِيثَ قَال: «**رُفِعَ قَبْرُهُ مِنَ الأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ**»(٢).

ذهب جمهور العلماء إلى استحباب رفع القبر عن الأرض نحو شبر، حتى يميز ولا يهان، وهكذا نص عليه الشافعي والأصحاب.

ويستحب إعماق القبر وتوسيعه، لقول النبي ﷺ: «**احفروا وأوسعوا وأعمقوا وأحسنوا...**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم عن ابن عباس.

(٢) **حسن**: رواه البيهقي عن جابر، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز.

(٣) **صحيح**: صححه الألباني في إرواء الغليل، وهو عند أبي داود بلفظ آخر (٧٤٣).

obeikandi.com

استحباب إدخال الميت قبره من جهة رجليه:

عن أبي إسحاق قال: أوصى الحارث أن يصلي عليه عبد الله بن يزيد، فصلى عليه، ثم أدخله القبر من قبل رجليه، وقال: «هذا من السنة»، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما، واستحباب كثير من أهل العلم.

ما يقال عند إدخال الميت القبر وكيفية وضعه:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي القُبُورِ فَقُولُوا بِسْمِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ»(١).

يستحب لمن على القبر أن يحثي على الميت ثلاث حثيات تراب بعد سد اللحد، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ أَتَى قَبْرَ المَيِّتِ فَحَثَى عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا»(٢).

مسألة: هل يجوز تعليم القبر بحجر أو نحوه؟

عن المطلب قال: «لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، فأمر النبي ﷺ رجلًا أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه.... ثم حملها فوضعها عند رأسه، وقال: «**أتعلَّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي**»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إلا وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(٥). عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ أبصر بجماعة، فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٣٢).
(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجة» (١٥٦٥).
(٣) **حسن**: رواه أبو داود عن المطلب، وحسنه الألباني في «صحيح أبو داود»(٣٢٠٦).
(٤) **حسن**: رواه الترمذي عن عثمان، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٨٤).
(٥) **حسن**: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٢).

obeikandl.com

يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، وقال: «**أي إخواني لمثل اليوم فأعدوا**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء**»(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**زُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الآخِرَةَ**»(٣).

وروى ابن أبي الدنيا، أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة، يسأله عن القدر، فقال له: جيرانك من أهل القبور، فَكِّرْ فيهم، فإن فيهم شغلًا عن القدر.

وعنه رحمه الله أنه قال: «إن القبر ليبكي، يقول في بكائه: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت الدود».

«يا غافلًا عن نفسه! أمرك عجيب، يا قتيل الهوى! داؤك غريب، يا طويل الأمل! ستدعى فتجيب، وهذا عن قليل، وكل آت قريب، هلا تذكرت لحدك، كيف تبيت وحدك، ويباشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحب بعدك، ناسيًا عنه بُعْدَك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك، إلى متى تترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمر جد مجد، فلازم جدك.

ذهب الأحبةُ بعد طول تودد ... ونأى المزار فأسلموكَ وأقشعوا
خذلوك أفقر ما تكون لغربةٍ ... لم يؤنسوك وكُرْبَةً لم يدفعوا
مضى القضاءُ وصِرْتَ صاحبَ حُفْرةٍ ... عنك الأحبةُ أَعْرَضُوا وتَصَدَّعُوا

ضمة القبر:

ضمة القبر لا ينجو منها أحد، صالحًا كان أو عاصيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، وضمة القبر هذه غير عذاب القبر.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد عن البراء بن عازب، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٥١).
(٢) **حسن**: رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٥٨).
(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٧٧).

obeikandl.com

عن سعد بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه**»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «**إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد منها**»(٢).

فتنة القبر وسؤال الملكين:

فتنة القبر وسؤال الملكين ثابت، وأخباره متواترة لا ينكرها إلا زنديق مارق يقدم العقل على النقل، ويطعن في الثابت من دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، وهي عظيمة في هولها وخطرها، تقرب من فتنة الدجال أعظم فتنة.

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر قول رسولنا ﷺ: «....**قَدْ أُوحِيَ إلى أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّال**....»(٣).

بأبي وأمي رسول الله ﷺ مَنْ حدث أمته وبين لها ما تحتاجه حتى لون الملكين، ولون عيونهما واسميهما.

«**أتاه ملكان أسودان، أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير**».

أزرقان أي: لون عيونهما.

يجلس المؤمن الصالح في قبره غير فزع قبل السؤال، أما الرجل السوء فإنه يجلس في قبره فزعًا مشغوفًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**».

فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).
(٢) **صحيح**: رواه أحمد عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٨٠).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم عن أسماء.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري عن البراء بن عازب.

obeikandl.com

عن طاوس: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ المسألة في القبر.

وقال قتادة: أما الحياة فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾، في القبر. وانظر بربك إلى هذا الأثر الطيب في رد عقول الصالحين عليهم في القبر وجواب عمر رضي الله عنه الجميل.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر، فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم كهيئتك اليوم**»، فقال عمر رضي الله عنه بفيه الحجر[1].

ومعنى بفيه الحجر: أي بفم الملك الحجر. قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسن ظنه بربه على ما سيكون عنده من حسن الجواب.

والحمد لله أن هذا الحديث حسن، ويا خالق عمر سبحانك... هذا عمر الإسلام...وهو من الدين السمعُ والبصرُ- هو والصديقُ.

يا طيب كرامة المؤمن في قبره حين ينادي منادٍ في السؤال عند سؤاله: «**أن صدق عبدي**».

ويا طيب شوقه حين يقول الملكان: قد كنا نعلم أنك تقول كما جاء في حديث أبي هريرة، وعنه أيضًا يقال له: «**صدقت، على هذا عشت، وعليه مت، وعليه تبعث**»، أو «**على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعليه تبعث إن شاء الله**».

وأما الكافر أو المنافق: فيقال له حين يقول: لا أدري، فيقال له: «**لا دريت ولا تلوت، على الشك كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ثم ينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي**».

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قيل: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في جسد طيب، اخرجي حميدة، وأبشري بِرَوْحٍ وريحان، وربٍّ غير غضبان. قال: فيقولون ذلك حتى تخرج، فإذا خرجت عرجت إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها كذلك، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل**»[2].

---

(١) **حسن:** رواه أحمد عن عبد الله بن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٣)

(٢) **صحيح:** رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٦٨).

obeikandl.com

ومن كرامة المؤمن في قبره:

✺ التنوير له في قبره.

✺ الفسح له في قبره.

✺ نوم المؤمن في قبره أطيب نومة.

✺ شوقه لتبشير أهله.

«ثم يفسح له في قبره سبعون ذ راعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

قال ﷺ **«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنِ اللهُ هَدَاهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ الله، فَيُقَال لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَمَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهَا، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلى بَيْتٍ كَانَ لَهُ فِي النَّار؛ فَيُقَال لَهُ: هَذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ الله عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أَهْلِي. فَيُقَال لَهُ: اسْكُنْ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِى، فَيُقَال لَهُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، فَيُقَال لَهُ: فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الخَلْقُ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»**(١).

ويصور هذه الكرامة أبلغ تصوير شوق الصحابة في البرزخ، ممن استشهدوا في سبيل الله تعالى، لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء.

ومن نعيم القبر للمؤمن أن أعماله الصالحة تمثل له وتذود عنه وتؤنسه في قبره.

مر في حديث البراء: **«يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنة فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح...»**.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٠).

الفصل الثالث

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

يا أيها المسلمون تنافسوا في الدين ولا تتنافسوا في الدنيا، كما قال علي بن أبي طالب: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره» حتى نكسب الآخرة لأن متاع الدنيا قليل كما قال الله تعالى.

✺ ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ الله، فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ**»(١).

قف مع نفسك وقفة وقل بأعلى صوت:

يا نفس كَفَّى ما كان من زللِ ... فيما مضى واجهدي في صالح العملِ
وعن هواك اعدلي ثم اعذلي وعظي ... بمن مضى واغنمي طاعات واعتدلي
ولا تغرنَّك الدنيا وزينتُها ... فإنها شرك الأكدار والعللِ
ما أضحكت يومها إلا وفي غدِها ... أبكتْ فكوني بها منها على وجلِ
فتلك دارُ غرورٍ لا بقاءَ لها ... ولا دوام لدانيها على أملِ
أين القرون التي كانت بها سلفتْ ... كأنها لم تكن في الأعصُرِ الأُوَلِ
فلازمي كل ما لله فيه رضا ... واستمسكي بالتقى في القولِ والعملِ
فمن أطاع سعيد عند خالقه ... في جنةِ الخلد في حلى وفي حال

جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**» فبكى أبو بكر، وقال: فَدَيْناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري عن عمر بن الخطاب.

فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به[١].

ها هو حبيبك المصطفى يترك الدنيا بزينتها وقصورها، ليكون في رفقة الرحمن الرحيم، الذي هو أرحم بعباده من الأم بولدها.

وبعد هذا الكلام تحب الدنيا؟!

سُئل مالك بن دينار: «مالنا نحب الدنيا ونكره الآخر؟» قال: «لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم». أتحبون أن تذهبوا من العمارة إلى الخراب، ولكن إذا أحببنا الآخرة وعمرنا الآخرة بالذكر والقرآن والصلاة والصيام وبحسن الخلق والأعمال الصالحات، فسوف نشتاق إلى رؤية المولى عَزَّ وَجَلَّ، وكلما اشتقنا تركنا الشهوات، وكلما تركنا الشهوات كرهنا الدنيا وأقبلنا على الآخرة، فلا تضيعوا لحظة إلا في ذكر الله.

قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[٢].

أيها الأحبة في الله: أوصيكم وأوصي نفسي أن تنظروا إلى هذا الحديث، وأن تعملوا به، حتى يكون أسعد أيامنا يوم أن نلقاه، وانظروا إلى قول الحسن البصري يقول: «ما من يوم إلا وينادي: أنا يوم جديد عليك يا ابن آدم شهيد، اغتنمني يا ابن آدم فإني لا أعود».

ألا أيها المغرور ما لك تلعبُ ... تؤمِّل آمالا وموتك أقربُ

وتعلم أن الحرصَ بحرٌ مبعد ... سفينته الدنيا فإيَّاك تعطب

وتعلم أن الموت ينقضُّ مسرعًا ... عليك يقينًا طعمه ليس يعذب

فيجب عليكم أن تغتنموا خمسًا قبل خمس، كما أوصى النبي ﷺ، فقال: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[٣].

✺ واعلم أن رأس مالك هو حياتك أي وقتك فاغتنم كل دقيقة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩٢).

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥).

هل تعلم أنك لو قلت: «**سبحان الله**» تملأ ما بين السماء والأرض، ولو قلت «**الحمد لله**» تملأ الميزان كما قال الحبيب المصطفى ﷺ، ففي الدقيقة الواحدة أستطيع أن أقول: «**سبحان الله**» ستين مرة كذلك «**الحمد لله**» ستين مرة، فكيف لا أغتنم كل دقيقة لها من الأجر والثواب العظيم الذي أعده الله عَزَّ وَجَلَّ لنا، فلا تضيعوا أجركم وأوقاتكم، واعلموا أن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها كما قال ﷺ: «**أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلا ذِكْرُ الله وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»(١).

بعد هذا الحديث عن الدنيا، يا ترى هل أنت من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة؟

جاء رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: يا علي هل أنا من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إذا جاءك رجل بهدية، ورجل جاء يطلب منك عطية بمن تفرح؟ إذا فرحت بمن جاء لك بالهدية فأنت من أهل الدنيا، وإذا فرحت بمن جاء يطلب منك عطية فأنت من أهل الآخرة».

ويا من يفرح بالدنيا وينسى الآخرة انظر إلى هذا المثل: دخل إمام إلى بيت الله فوجد أناسًا يلتفون حول أمير من الأمراء، فانصرف أغلب الناس عن الأمير، والتفوا حول الإمام، فسأل الأمير، فقالوا: إنه إمام وعالم، فذهب إليه الأميرُ، فقال: يا إمام أتريد شيئًا؟ لو أردت شيئًا تعال لي في القصر، وسوف أعطيك ما تريد، فرد الإمام بخشوع وهو يقول: إذا كنت لم أطلب الدنيا ممن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها.

لو تأملنا في هذا القول سنجد أن الإمام تعلق قلبه بالآخرة وليس بالدنيا التي تغر الناس، فمن أحب الدنيا أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثِروا ما يبقى على ما يفنى.

قال عون بن عبد الله: «الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان، لا ترجح إحداها حتى تخف الأخرى».

وقال وهب: «إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان، إذا أرضى إحداهما أسخط الأخرى».

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في حديثه القدسي: «**لا أجمع على عبدي أَمْنَيْنِ ولَا خَوْفَيْنِ، من خافني**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠٩).

في الدنيا أمَّنته في الآخرة، ومن أمنني في الدُّنيا أَخَفْتَهُ في الآخرة».

فيا إخواني في الله اعبدوا الله مع الخوف والرجاء، خافوا من عقابه وارجوا رحمته، وازهدوا في الدنيا حتى يحبكم الله، كما قال ﷺ لما جاءه رجل فقال: يا رسول الله دلني علي عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ الله، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**»(١).

وانظر في الدنيا إلى من هو أقل منك، وانظر في الدين إلى من هو أعلى منك، كما قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

(١) **حسن**: رواه البيهقي عن سهل بن سعد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٢).

obeikandl.com

الفصل الرابع
فضل الجوع والمرض والموت

فضل الأمراض والمصائب ونحوها:

إن الأمراض والمصائب ونحوها ابتلاء قد قدره الله على هذه الأمة.

قال صاحب كتاب: (**كشف الكربة عند فقد الأحبة**): لقد جعل الله الابتلاء سنة ربانية ليختبر به عباده، وليقيم الحجة عليهم بما يبدو منهم، وهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أعلم بهم قبل كونه.

❋ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢)

وقال ابن القيم: إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه.

❋ كما قال النبي ﷺ: «**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي الله لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إلا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يُبتلَى المرء حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة.

❋ **وقال أبو السعود**: والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين، مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقين.

❋ **وقال أحد السلف**: الناس ما داموا في عافية فهم مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه.

❋ **وقال أهل العلم**:والابتلاء يكون بتحمل المكاره والمشاق لاستخراج ما عند المبتلَى من الطاعة والمعصية.

obeikandl.com

✵ **وقال** ﷺ **«ما يَزَال البلاء بالمؤمن والمؤْمنة، في نَفْسِهِ وولده وماله، حتى يلقَى الله ومَا عَلَيه خَطِيئَة»**(١)، فبين النبي ﷺ أن الابتلاء للمؤمن بمثابة اللهب للذهب، أي أن الابتلاء للمؤمن ينفي عنه الذنوب كما ينفي اللهب خبث الذهب.

✵ **وقال ابن الأثير**: والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معًا من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥).

✵ **وقال الأصفهاني**: إنه اختبار الله تعالى للعباد: تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعًا بلاء، فالمنحة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين.

المريض يكتب له أجر ما كان يعمل وهو صحيح:

قال ﷺ: **«إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا»**(٢).

هل يجوز للمريض الشكوى؟

نعم، رُخِّص للمريض أن يقول إني وجع، أو إني أشعر بألم في رأسي، ونحو ذلك ما لم يكن ذلك منهيًّا عنه، لأن الشكوى باللسان مع رضى القلب جائز، فأنزِل همك بالله، ولا تنزل همك بالناس، لأن من أنزل همه بالله زاله، ومن أنزل همه بالناس زاده.

فضل عيادة المريض:

✵ عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: **«جَنَاهَا»**(٣)، أي: يئول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها.

✵ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول يوم القيامة: عبدي، مرضتُ فلم تعدني، فيقول العبد: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده»**(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨١٥).
(٢) **صحيح**: رواه أحمد عن أبي موسى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٩).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم والترمذي عن ثوبان، واللفظ للترمذي في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٧٥).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم عن أبي هريرة.

obeikandl.com

قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ -، والمراد العبد تشريفًا للعبد وتقريبًا له، وقالوا: ومعنى وجدتني عنده أي: وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث «**لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي**» أي: ثوابه، والله أعلم.

❋ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ فِي الجَنَّةِ مَنْزِلًا**»(١).

❋ وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا إلا بَعَثَ الله لَهُ سَبْعِينَ أَلفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَيَّ سَاعَةٍ مِنْ النَّهَارِ كَانَتْ حَتَّى يُمْسِيَ، وَأَيَّ سَاعَةٍ مِنْ اللَّيْلِ كَانَتْ حَتَّى يُصْبِحَ**»(٢).

يجب علي المريض أمور منها:

أولاً- الرضا وحسن الظن بالله تعالى عند الاحتضار:

❋ عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٣).

❋ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله عَزَّ وَجَلَّ**»(٤).

❋ **قال الصنعاني في «سبل السلام»**: يحسن أن يُذَكَّر المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبره، فيحسن ظنه بربه، لما أخرجه مسلم من حديث جابر...، وساق الحديث كما ذكرناه في الباب، ثم قال: وفي «الصحيحين» مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قال الله: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»(٥).

❋ وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم، قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه، وقد قال الله - جل جلاله -: ﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**﴾ (الحجر: ٥٦).

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٧).
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي عن أبي موسى الأشعري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٨٧).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم عن صهيب.
(٤) **صحيح**: رواه مسلم عن جابر.
(٥) **صحيح**: رواه الطبراني عن واثلة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣١٦).

ثانيًا- أداء الحقوق:

✵ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**»(١).

✵ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ**» قَالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَال: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

ثالثًا- النهي عن تمني الموت:

قال النبي ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللهمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»(٣).

✵ وقال ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَال: «**لَا، وَلَا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**»(٤).

✵ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾

(آل عمران: ١٠٢)

فاللهم أحينا بالإسلام وأمتنا على الإسلام.

فوائد ذكر الموت:

✵ عن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فجاءه رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ، ثم قال: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَال: «**أَحْسَنُهُمْ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري عن أبي هريرة.
(٢) **صحيح**: رواه البخاري عن أبي هريرة.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم عن أنس، واللفظ للبخاري.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري عن أبي هريرة، والحديث عند مسلم بلفظ آخر عن عائشة.

obeikandl.com

خُلُقًا» قَال: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَال: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ»(١).

ولذكر الموت فوائد:

١- أنه يحث على الاستعداد للموت قبل نزوله.

٢- أنه يهون على العبد مصائب الدنيا.

٣- أنه يحث على التوبة واستدراك ما فات.

٤- أنه يرقق القلوب، ويدمع الأعين، ويجلب باعث الدين، ويطرد باعث الهوى.

٥- أنه يدعو إلى مسامحة الإخوان وقبول أعذارهم.

٦- أنه يرغب في الآخرة فنزداد في الطاعات.

٧- أنه يزهدك في الدنيا، وترضى بقليل القليل حتى تستعد للرحيل.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إلى القَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَال: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا» ثُمَّ قَال: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا، وَإِقْبَال مِنْ الآخِرَةِ، نَزَلَ إليه مَلائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ عليه السلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ الله وَرِضْوَانٍ، قَال: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِيّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَال: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ- يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلإٍ مِنْ المَلائِكَةِ إلا قَالوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ ابْنُ فُلانٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ التِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السَّمَاءِ التِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إلى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَال: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٣٥).

فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَـذَا الرَّجُـلُ الـذِي بُعِـثَ فِـيكُمْ؟ فَيَقُـولُ: هُـوَ رَسُـولُ الله ﷺ فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الجَنَّةِ وَأَلبِسُوهُ مِنْ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَـهُ بَابًـا إلى الجَنَّـةِ، قَـال: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَـال: وَيَأْتِيـهِ رَجُـلٌ حَسَـنُ الوَجْـهِ حَسَـنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَـنْ أَنْـتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّـى أَرْجِـعَ إلى أَهْلِي وَمَالِي، قَال: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَال مِنْ الآخِـرَةِ، نَـزَلَ إليـه مِـنْ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمْ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَـكُ المَـوْتِ حَتَّـى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ مِنْ الله وَغَضَبٍ، قَـال: فَتُفَـرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُـذُهَا، فَـإِذَا أَخَـذَهَا لَمْ يَـدَعُوهَا فِي يَـدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنْ المَلائِكَةِ إلا قَالوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُـلانُ بْنُ فُلانٍ - بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ التِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّمَاءِ الـدُّنْيَا فَيُـسْتَفْتَحُ لَـهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُـولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًـا، ثُـمَّ قَـرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فَتُعَـادُ رُوحُـهُ فِي جَـسَدِهِ، وَيَأْتِيـهِ مَلَكَـانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَـاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَـادٍ مِـنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إلى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبْـشِرْ بِالذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَـنْ أَنْـتَ؟ فَوَجْهُـكَ الوَجْـهُ يَجِـيءُ بِالـشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقِمْ السَّاعَةَ»(١).

(١) **صحيح**: رواه أحمد عن البراء بن عازب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦).